المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: صراع الحضارات والرؤية العربية
اسم الكاتب: أ.د. ناظم عبد الواحد الجاسور
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/1943
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 03:12 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

صراع الحضارات والرؤية العربية

الاستاذ الدكتور
ناظم عبد الواحد الجاسور(*)

مقدمة:

لم يمض على صدور مجلة فورين افريز الامريكية وهي تحمل بين صفحاتها مقالة صموئيل هنتنغتون حول صراع الحضارات، حتى بدأت الردود العربية تصدر في صفحات هذه المجلة او تلك، وعقدت لذلك العديد من الندوات والحلقات النقاشية التي كان محورها دحض كل الفرضيات و"التنبؤات" التي اطلقها لترويج الافكار والطروحات التي حفلت بها "صراع الحضارات". ومن خلال عدم اتساع هذه الدراسة بكل ما نشر وكتب، فاننا سنقتصر على تناول عدد منها، يساعدنا في تسليط الضوء على الرؤية العربية حول ما طرحه هنتنغتون، مع الاشارة للاطلاع اكثر للمصادر الاخرى التي كرست لهذا الغرض.

"وظائفية الخطاب الاستراتيجي الامريكي"

يؤكد وجيه كوثراني في رده الذي جاء تحت عنوان: صدام الحضارات ام ادارة ازمات؟ ان هنتنغتون في الوقت الذي يعترف بالحضارة الاسلامية طرفاً في الصراع العالمي، فانه يدحض نظرية "نهاية تاريخ" التي طرحها فرانسيس فوكوماياً، حيث كان محورها انتصار الليبرالية كنهاية لصراع الايديولوجيات في العالم. ويشير كوثراني ان صدام الحضارات هي الدعوة الى نمط من التعايش مع نوع من الازمات في العالم مرشحة لان تتفاقم وتدوم(١).

ويضيف كوثراني بأنه بين مقالة امريكية تبشر بنهاية التاريخ ومقالة اخرى امريكية ايضاً تقول ان التاريخ لم ينته، اقل من سنتين، وفي الحالتين نلاحظ ان ثمة ضجيجاً اعلامياً، وان ثمة استتباعاً فكرياً ومنهجياً تفرضه مراكز التفكير الاستراتيجي في العالم على التفكير المحلي في اطراف العالم. وهذا "الفرض" او التوجيه الاعلامي يأتي من اجل التفكير في وظائفية الخطاب الاستراتيجي الامريكي وعندما يراد لهذا الخطاب ان يكون حدثاً مركزياً او خطاباً محورياً لادارة النقاش العالمي وتوجيهه(٢).

(*) عميد كلية العلوم السياسية-الجامعة المستنصرية
(١) صدام الحضارات، ملف خاص، مجلة شؤون الاوسط، العدد ١٠٤/٢٠٠١، ص١٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٢.

ويؤكد بأن الغرب حاول اقتحام الشرق الاسلامي بكل الادوات والاساليب ومنها الثقافية الا انه وجدت ونمت في العالم الاسلامي اشكال الممانعة ذات الابعاد التاريخية والاجتماعية والثقافية. ويتساءل كوثراني هل ان هذه "الممانعة" تسمى صداماً في الحضارات[٣]؟

ويضيف كوثراني ان عناصر الصدام التي يعددها هنتنغون ليبني عليها فرضيته لا تندرج في نسق ومفهوم الحضارات، انها تعبير عن ازمة نظام عالمي يمر في "النقطة الحرجة" التي نجعل منه على حد ما يقوله الباحث الفرنسي الاستراتيجي بيار لولوش Pierre Lelloche "فوضى الأمم".

وان ما يقترحه هنتنغون بصيغة الدعوة الى تعايش الحضارات واحتواء اسباب انفجارها هو نوع من سياسة "ادارة الازمات" في "كوكب الفقراء الذي تنفجر فيه الديمغرافية والثقافات (التي يمتزج فيها الديني والسياسي). واما عن دور مقالته (الجديدة-القديمة) فان كوثراني يصفها، بانها نوع من ادارة النقاش الفكري والثقافي ومحورية حول "مركز الخطاب الاستراتيجي" الامريكي، انه نوع من "ادارة الازمة" من باب الفكر والثقافة[٤].

وفي الدراسة التي اسهم فيها الدكتور غسان سلامة في الرد على اطروحات صدام الحضارات، والتي جاءت تحت عنوان "الاسلام والغرب"، فانه انطلق من ان خبراء الاستراتيجية الغربيون عكفوا بعد انتهاء الحرب الباردة لتحديد عدو جديد للغرب، ولم يجدوا أي صعوبة في ان الاسلام، في الوقت الذي لم يتوفر لدى هؤلاء الخبراء الا معرفة ضئيلة عن الاسلام من "انه نظام قديم شديد المثالية يدفعه في ذلك جزئياً النفور من الوضع الدولي الراهن"[٥]. ومن خلال استعراضه للاوضاع الحالية للانظمة السياسية العربية التي حصلت على استقلالها من السيطرة الاستعمارية وما واجهته من مشاكل سياسية في اطار التنمية والديمقراطية الامر الذي ادى الى بروز تأثيرات سلبية على ادءها الخارجي، وضعفها، او هزائمها امام العدو الصهيوني، مما يعزز من مكانة بعض التيارات والحركات السياسية الاسلامية التي مثلت البديل لفشل هذه الانظمة "القومية" و"اليسارية"، مما افضى الى ظهور "تحدي اسلامي" برز في السودان، والجزائر، ومصر، ووقفت مع العراق خلال حرب١٩٩١، ووجدت في ايران الدعم الكافي، وكانت افغانستان الساحة التي كشفت عن قدرة "الاسلاميين" عن الفوز بحرب ضد قوة توسعية خارجية. واستخلص الاسلاميون، وحسب ما يؤك

---

(3) المصدر نفسه، ص٩٣.

(4) المصدر نفسه، ص١٠١.

(5) غسان سلامة، الاسلام والغرب، بحث منشور في كتاب صموئي هنتنغون "الاسلام والغرب، افق الصدام"، ترجمة مجدي شرشر، مصدر سبق ذكره، ص٩٩-١٠٠.

سلامة، نوعاً جديداً من الدروس من فصول الرواية الجزائرية في انه: عليكم الا تثقوا في الانظمة المحلية او الحكومات الغربية عن دعوتها لاجراء انتخابات ديمقراطية[٦]. ان "ثمار القمع" ضد التيارات القومية والليبرالية والماركسية التي مارستها الانظمة السياسية العربية اوجدت فراغاً سياسياً فكرياً، افسح المجال "للاسلاميين" ان ينزلوا الساحة لتحدي الانظمة والقوة الغربية المتحالفة معها. ومن جانبه يبدو الغرب وقد اصابه "التحدي الاسلامي" بالضيق الكامل كما هو حال حكومات الدول الاسلامية، الا نفاق الغرب وازدواجية معاييره جعلته في حالة تخبط وقصر النظر.

ومن هنا، فان الدكتور غسان سلامة، ومن اجل ان تخرج الحكومات الغربية من نفاقها، وتحدد مخرج واقعي، يجب عليها ان تسعى لمعرفة من هي الجماعات الاسلامية، وماذا تفعل، ولا يمكن تحقيق ذلك اذا ما ظلت وجهات نظر الغرب تجاه التحدي الاسلامي تتبع فقط من منظور التهديد الامني. فغالبية ما ينظر الى الجماعات الاسلامية مجتمعة باعتبارها تمثل تهديداً واحداً للمصالح الغربية. كما انه يجب على الغرب ان يعي ان نموذجه الخاص بالدولة القومية العلمانية ليس نموذجاً عالمياً كما يفترض بل وربما كانت الاشكال الاخرى للمنظمات السياسية اشكالاً شرعية وحتى لو كان العالم من الناحية الاستراتيجية قد اصبح عالماً غير متعدد الاقطاب، فانه لايزال متعدد الاقطاب في المجال الثقافي. وغالباً ما تمت معادلة الانتصار الغربي في الحرب الباردة (كما يدعي فوكوياما) بشكل خاطئ بأنتصار النماذج السياسية والثقافية الغربية[٧].

ويضيف الدكتور سلامة بأن "التهجم الغربي على الاسلام والنماذج السلبية للمسلمين في وسائل الاعلام تثبت في اذهان المسلمين الوهم الجنوني بوجود مؤامرة غربية مزعومة للقضاء على الاسلام. ثم ان بعض الغربيين الذين ينصبون انفسهم خبراء (امثال برنارد لويس، هنتنغون...) يخدموم من حيث لا يعلمون مصالح اشد الاسلاميين تطرفاً عن طريق اسرافهم في الحديث عن تفرد الاسلام"[٨]. ويؤكد الدكتور سلامة بأنه ليس بوسع الحكومات الغربية الادعاء بأن معيارها الاخلاقي يفوق معيار القوى المناهضة للغرب، وحكوماته، وانتقائية بالفعل في اختيار الاعداء وكذلك في قرارات الامم المتحدة التي ترغب في تطبيقها، وفي السياسة التي تنتهجها ضد القضايا العربية وهي السياسات غير المنصفة تجاه الصراع العربي-الصهيوني، وتدخلاته العسكرية في المنطقة، حيث ان هذه التدخلات ينظرون اليها في الغرب باعتبارها نتاجاً لمصالح استراتيجية متنوعة الجدوى العسكرية والنواحي الموضوعية، لكن بالنسبة

---

[٦] المصدر نفسه، ص١٠٩.
[٧] المصدر نفسه، ص١١٩-١٢٠.
[٨] المصدر نفسه، ص١٢١.

للمسلمين فعلى افضل الاحوال ليست الا تطبيقاً لتقليد قديم بأزدواجية المعايير[٩]. وعلى ضوء ذلك، فانه يجب على الغرب ان لا يفاجأ بعودة ظهور الكراهية الاسلامية للتدخل، وهذه الكراهية، وحسب رأي الدكتور غسان سلامة سوف تتحول الى "تحد امني ضد الغرب[١٠] وفي الندوة التي عقدها معهد اللغة والحضارة العربية في باريس، والتي نشرت مجلة المستقبل العربي اعمالها في عدد كانون الاول/ ديسمبر/ ١٩٩٨، تحت عنوان: صراع الحضارات ام تعدد ثقافات؟، فقد اشارت رباب الحسيني في بداية ادارتها للندوة بأن هناك مقولات عديدة ظهرت في الشارع الفكري والسياسي، كمقولة "النظام الدولي الجديد" وكذلك مقولة "نهاية التاريخ" لفرانسيس فوكوياما التي كان لها نصيب من الرواج بفضل قوة اجهزة الاعلام والترويج الغربية، ثم لم تلبث ان تلقت ما تستحقه من النقد والدحض، شأنها شأن مقولة هنتنغون حول صراع الحضارات، وفيها ينبأ بأن القرن القادم سوف يحكم الصراع بين الحضارات، وهو قائم على الاختلافات الثقافية والدينية والعرقية. وتلك المقولة تبدو محدوديتها في عدم قدرتها على تفسير الصراعات بين الدول الاوربية التي تنتمي الى الحضارة المسيحية الغربية، وكذلك في عدم قدرتها على تفسير الصراعات بين الصين واليابان في ظل الحضارة البوذية والكونفوشوسية[١١].

لقد شدد المفكر العربي محمود امين العالم على ان صموئيل هنتنغون وهو يتحدث عن صدام الحضارات، فان مفهوم الحضارات لديه مفهوم ثقافي خالص بل ديني خالص.. المسيحية هنا والاسلام والكونفوشيوسية هناك، ومن خلال استعراضه للعلاقة المفاهيمية بين الحضارة والثقافة، وكيفية تشكل ظاهرة العولمة، وهي نتيجة للطابع التوسعي لنمط الانتاج الرأسمالي، في الوقت الذي تبرز فيه الهيمنة من كونها نابعة من الطابع التنافسي للنمط الرأسمالي، حيث احتدمت صراعات المصالح التجارية بين الدول الرأسمالية حول الاسواق العالمية، والامر الذي ادى من جهة ثانية الى تفجر الاختلافات والتمايزات والخصوصيات والهويات القومية والعرقية والدينية والثقافية ويحتدم الصراع في ما بينها، وبينها وبين الهيمنة الرأسمالية. وعلى ضوء ذلك فليس هناك الا حضارة واحدة ذات نمط رأسمالي، وهيمنة لبعض البلاد الرأسمالية الكبرى على هذه الحضارة العالمية، وفي اطار هذه العولمة والهيمنة تحتل صراعات المصالح التجارية والاقتصادية اساساً، وهناك صراع الهويات والخصوصيات وبين الهيمنة الرأسمالية. وخلاصة القول حسب ما يؤكده المفكر العالم، وهو انه ليس ثمة صراع

---

(9) المصدر نفسه، ص١٢٧.

(10) المصدر نفسه، ص١٢٨.

(11) صراع الحضارات ام تعدد ثقافات؟، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٣٨، ١٩٩٨ ص٧٥-٧٦.

حضارات في عالمنا في اطار هذه العولمة الحضارية الرأسمالية. فليس هناك صراع حضاري بين امريكا واليابان رغم اختلافهما الحضاري الكامل تاريخياً، بل يوجد صراع تجاري حاد..وليس هناك صراع حضاري بين امريكا واوربا، وليس هناك صراع حضاري بين امريكا وليبيا او بين امريكا وايران او بينها وبين أي دولة اخرى من دول العالم، وان اتخذ هذا الصراع مظهراً قومياً او دينياً او ايديولوجياً.. ان الصراع هو صراع مصالح اقتصادية اساساً من اجل المزيد من التوسع والسيطرة وحل ازماتها الاقتصادية، وطمس الخصوصيات القومية والوطنية والثقافية في البلاد النامية وتوظيفها لخدمة مصالحها[١٢].

وفي مداخلة السيد ياسين في هذه الندوة، فانه بعد ان يقوم بالتتبع التاريخي الموجز للحوار بين الحضارات، وعن الحوار بين الحضارات ما بعد الحداثة، وعن الكونية والعلاقات المتعددة الاطراف واحياء القومية، يتساءل هل هناك صراع بين الحضارات؟ ويجيب السيد ياسين بأن سقوط الشيوعية واختفاء الاتحاد السوفيتي اجبر الولايات المتحدة على خلق "عدو جديد" الامر الذي ادى الى ظهور مفهوم الحروب الثقافية. ويشير الى انه في مقالته تحت عنوان "الدفاع عن الغرب" ذكر كاتبها ان الحل امام الغرب هو شن الحروب الثقافية وتكلم عن الاسلام وكان قبل هنتنغون باربع سنوات. ويشدد في ذلك بأن هنتنغون هو المقنن لما نسميه تيار العنصرية الجديدة في الثقافة الغربية. قمة فكر هذا التيار هو اختلاف الصراع بين الحضارات..وان الاسلام مرشح لكي يكون هو العدو الاول او الكنفوشيوسية. ويضيف بأن القضية لا تتعلق بالصراع المفتعل وانما تتعلق بالمعركة المقبلة حول انشاء قيم جديدة لنظام عالمي جديد[١٣].

"سقوط الصراعات التاريخية":

وبهذا الصدد فأن عبد النبي اصطيف يرى بأن كتاب صدام الحضارات بما ينطوي عليه من تكريس لمناخ الصراع والمجابهة بين الامم والشعوب ولاسيما تلك التي يرى فيها خطراً على "الانموذج الغربي" المزعوم يثير تساؤلات واشكالات لا نهاية لها، تشير جميعها الى جوانب مختلفة من الخلل الذي بات يعتوره التفكير الغربي في تدبره لعالمنا المعاصر. ويضيف بأن هذا الوضع القائم وضع مثالي بالنسبة للغرب لانه يكفل له الحفاظ على الهيمنة على مقررات العالم، بل الكون، من خلال "النظام العالمي الجديد"، الذي هو -بحق- نوع متطور جداً من الامبريالية الجديدة ذات الجدوى الاقتصادية الواضحة. ومن اجل المحافظة عليه لابد من ترسيخ فكرة تميز الغرب عن

---

[١٢] المصدر نفسه، ص٧٨-٧٩.
[١٣] المصدر نفسه، ص٨٥-٨٦.

سائر العالم، وبالتالي تسويغ هيمنته وموقعه وافعاله فيه. ولابد كذلك من افتعال صراع مع أي مصدر خطر يمكن ان يشكك في تميز هذا الغرب او في تفوقه. وما دام الخطر العسكري قد زال بزوال الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية التي انضوى معظمها الان تحت لواء حلف شمال الاطلسي، وما دام الخطر الاقتصادي المتمثل بالنمور الاسيوية قد تم احتواءه، فلابد من التفكير بخطر آخر، وليكن هذا الخطر هو الخطر الحضاري المتمثل بالحضارات الاخرى التي تحمل قيماً اخرى متباينة لقيم ما يسمى بالحضارة الغربية، وليكن العصر القادم عصر (صدام الحضارات)[١٤].

ويعتقد استاذ الفلسفة في جامعة دمشق الدكتور طيب تيزيني بأن اطروحة (صراع الحضارات) بقدر ما اثارت سجالاً واسعاً وظهرت اراء تفندها بوصفها "وهما" او بمثابة "نتائج كبيرة لافكار ووسائل استقراء هزيلة، ومقتبساً نصاً كتبه الاستاذ خالد القشطيني في صحيفة الشرق الاوسط (١٢٣ شباط ١٩٩٥) الذي اكد فيه بأنه (قلما وجدت بحثاً واهياً يفتقر الى العلم كما وجدته في اطروحة صدام الحضارات)، فان هذه (الاطروحة) تربطها صلة عميقة مع العولمة وما بعد الحداثة، وفي الاشارة الى الاسلام والكونفوشوسية فأن هنتنغون اختزل الحضارة الى دين، ونظر الى هذا الدين بمثابة اشارة signal الى عرق او سلالة، وهذا يؤدي، وحسب رأي تيزيني، الى الغاء التاريخ بوصفه سياقاً مفتوحاً، وهذا من شأنه ان يدخلنا في حقل هوية لا تاريخية او ميتاتاريخية من طرف، وعاجزة-في حال صراعها مع هوية اخرى من نمطها، عن تحقيق نمو مثمر مفتوح من طرف آخر. ويضيف تيزيني في معرض نقده ان لقاء مقولة "صراع الحضارات" مع منظومة "ما بعد الحداثة"[١٥] تتضح احتمالاته، والحال كذلك مع عملية انبعاث الهويات الاثنية، مع تأويل الحضارات على اساس اثني مغلق، وفي ضوء الاعتقاد بأن نمط التعايش فيما بينها يقوم على الصراع وحدة الاضراب وحده. وبالتالي فأن هذا التحليل يفضي الى ان مقالة هنتنغون تلتقي مع جان فرانسوا ليونارد في بحثه ما معنى الحداثة. ففي الحالتين كليتهما، نواجه رفضاً لمفهوم التقدم واللانساق او "الانماط" الشكلية[١٦].

ويؤكد الدكتور تيزيني ان اطروحة "صراع الحضارات" وان اكتسب على يد هنتنغون طابعاً محدداً بمعطيات العولمة الجديدة، فانها كانت ذات حضور ما في الفكر

---

(14) عبد النبي اصطيف، نقد "صراع الحضارات"، مجلة الاداب السورية/ دمشق العدد ٣/٤-آذار نيسان/ ٢٠٠٠/ ص٦.

(15) طيب تيزيني، نقد "صراع الحضارات"و"ما بعد الحداثة"، مجلة الاداب السورية عدد ٣و٤ ص٩-١٠.

(16) المصدر نفسه، ص١١.

البرجوازي. وقد افصح هذا الحضور عن نفسه بأحد اوجهه ذات الخصوصية البالغة الحساسية على صعيد الصراع العربي-الصهيوني.

فلقد كانت المقولة التي اطلقها انور السادات تمهيداً لزيارته الى اسرائيل، وهي: "ان لنا ان نكسر الجدار النفسي بيننا وبين اسرائيل" تعبيراً مكثفاً عن وجهي الاطروحة الهنتنغونية المتلازمين: سقوط الصراعات التاريخية وما تستتبعه من بدائل تاريخية على مستوى النظام الاجتماعي الاقتصادي وبروز الصراعات "الحضارية" المفهومية اثنياً طائفياً مذهبياً الخ.. وفي هذه الحال، يفقد الصراع العربي-الصهيوني بنيته التاريخية (القائمة على مصالح عظمى تتصل بالوجود) ليتحول الى صراع ملتبس "حضارياً" أي دينياً ثقافياً يمكن رفعه وتجاوزه اذا ما تمت مكاشفة حميمية بين الفريقين[١٧].

يشير الاستاذ برهان غليون في دراسته "اصل التفاهم بين الاجناس" في اطار نقد "صراع الحضارات" و"حوار الحضارات"، الى ان الاعتراف بالتعددية الثقافية كذلك حوار الثقافات مسألة حتمية او ضرورية. فالعلاقات بين الثقافات هي انعكاس للعلاقات بين المجتمعات. ذلك ان الثقافة ليست هي التي تحاول بل المجتمعات- من ضمنها الافراد المهتمون بالحوار او المسؤولون عن شؤون الجماعة-والعلاقة الطبيعية بين متعددين هي بالضرورة علاقة صراع وتواصل معاً: صراع مع الاخر الغريب، وتواصل مع القريب. فلا قرابة من دون صراع بين الاخر، ولا صراع من دون هوية تبني حدود الذات والقريب والصديق. وموضوع الصراع بين الثقافات او بين الجماعات في الميدان الثقافي، وهو السيطرة على الرأسمال الرمزي الذي يشكل رصيد كل ثقافة، او هو التثقف الذي يستدعي السيطرة على مواقع استراتيجية في شبكة العلاقات والموارد الثقافية العالمية.

وعلى ضوء ذلك، فان غليون يميز ما بين هذا الصراع الذي طرحه، والصراع الهنتنغوني، حيث يؤكد بأن مفهوم هذا الاخير الذي يربط الصراع بين الثقافات وبين الحروب او الصدام العام بين الجماعات فتجعل فرضية هنتنغون من الاختلاف الثقافي او التعدد الثقافي المصدر الاول للنزاعات والحروب العالمية. ويشير برهان غليون بأنه حسب نظرية هنتنغون، مرت البشرية عبر التاريخ بعدة انماط من الصراع. النمط الاول عبرت عنه الحروب الدينية، ثم جاءت الحروب القومية بين الامم المستقلة. ثم عرف الحرب العقائدية التي طبعت حقبة الحرب الباردة. والان نحن ندخل حقبة يأخذ فيها الصراع بين البشر شكل الحرب بين انساق ثقافة مختلفة. وهكذا ينبغي ان ننتظر عهداً تتواجه فيه، حتى الموت، حضارات كبيرة وقوية وعلمية. ومن الطبيعي ان لا يكون لمثل هذه الحرب أي مخرج سوى انتصار حضارة على اخرى،

---

[١٧] المصدر نفسه، ص١٢.

وفرض قيمها ومنظوراتها على الحضارات الخاسرة او المنكسرة. وفي هذه الحالة يصبح التعصب والانغلاق الثقافي والتمسك بالخصوصية الحضارية شرط النجاح في المواجهات القادمة[١٨].

وبناء على ذلك، من خلال هذا الصراع الذي تطرحه فرضية هنتنغون، فأن المطلوب في هذا الصراع هو تعيين الثقافة-الحضارة التي سوف تفرض نموذجها على غيرها، وتتحكم-من ثم-بمصير الحضارة الانسانية. ومن هنا، فأن صراع الحضارات لا يمكن ان يعني، وحسب ما يؤكده غليون، سوى حرب الهوية، والحروب على الهوية، وذلك من خلال التقاء العديد من الاستراتيجيات التي تماهي بين الصراعات الثقافية والصراعات الاقتصادية والسياسية[١٩].

وعلى هذا الاساس، فأن هناك استراتيجية القوى الاشد محافظة في النظام الدولي القائم، وهي التي تريد ان تطمس تناقضات هذا النظام، والدمار الشامل الذي يثيره في كل مكان، وردود الفعل الهمجية التي تصدر عن جماعات همشت وانخلعت عن كل اطار مادي او معنوي ودخلت في حروب ذاتية لا نهاية لها. وهي تريد ان تطمس تناقضات ذلك النظام وتردد المسؤولية عنه بأبراز المصدر الثقافي لهذه الحروب المدمرة، أي المصدر (الطبيعي) الذي لا يمكن لاحد ان يكون مسؤولاً عنه سوى (التاريخ)[٢٠].

ويؤكد برهان غليون في اطار تشيده لاسس الحوار الحضاري بدلاً من الصراع، هو ان التقارب الحضاري او الثقافي الذي يطمح اليه الحوار سوف لا يؤدي الى انهاء احتمالات الحرب، ثقافية كانت او غير ثقافية. والدليل على ذلك ان معظم الحروب والنزاعات التي يعرفها العالم اليوم هي حروب داخلية تنشأ وتتطور في حضن جماعات تجمعها ثقافة واحدة، ولغة واحدة، ومرجعيات واحدة، وان اختلفت انتماءاتها القبلية او السياسية او الدينية. ولقد اندلعت اكبر الحروب التاريخية، وهي تلك الحروب التي نسميها حروباً عالمية، بين مجتمعات غربية تدعى اليوم انها ثقافة واحدة وانها تنتظم في نسق حضاري مشترك يقف في مواجهة الانساق الحضارية الاخرى. ان الاختلاف الثقافي ليس هو الذي ينشأ النزاع، رغم ان من الممكن استغلاله احياناً بقوة ونجاح لتأجيج النزاع عندما يصبح حتماً او راهناً لاسباب اخرى هي في معظم الاحيان غير ثقافية، بل بسبب النزوع الى الهيمنة الثقافية من قبل ثقافة على اخرى.

---

(18) برهان غليون، نقد "صراع الحضارات"و"حوار الحضارات-١- في اصل التفاهم بين الاجناس، مجلة الاداب السورية، العدد ٣/٤، نيسان/ ٢٠٠٠، ص٤٥.

(19) المصدر نفسه، ص٤٦.

(20) المصدر نفسه، ص٤٦.

وفي هذه الحالة يكون الصراع الثقافي جزءاً من مشروع اوسع للهيمنة الاستراتيجية[٢١].

ولكن الاستاذ احمد برقاوي يطرح المسألة من زاوية اخرى، وهو زيف السؤال اساساً حول الاشكالية الثنائية بين حوار الحضارات ام صراع الحضارات، لينطلق في عنوان دراسة: لا حوار بين الحضارات ولا صراع ليصل الى نشأة فكرة «صراع الحضارات». واذا كان قد نفي الحوار والصراع على منطق العلاقة بين الحضارات، فأنه يؤكد بأن سؤال العلاقة بين الحضارات سؤال تاريخي. والسؤال التاريخي لا ينبع الا من واقع سيرورة التاريخ. اذن ما منطق العلاقة بين الحضارات؟ ومن هنا، وحسب رايه يتطلب العودة الى تاريخ العلاقة، أي الى الاستقرار للوصول الى حكم عام او قانوني. وقبل ان يجيب عن سؤاله يطرح السؤال بصيغته الزائفة: "حوار ام صراع؟" فالواقع ان الاساس الذي استدعى ظهور السؤال زائفاً هو العلاقة بين الغالب والمغلوب، بل ان خطاب الحضارة السائد الان يعكس هذه العلاقة. فالغرب المنتمي الى الحضارة العالمية المتفوقة-بمعنى عالمية انتشارها-ماسور في ذا الوضع من الغلبة. وذلك ان حضارته انتجت وعياً بالتفوق، وصارت من زاوية وعيه هذا معيار التقدم الحضاري. وهكذا غدا الجزئي كلياً، وصار التقدم التقني والديمقراطية ونمط الحياة الرأسمالية معياراً يقيس عليه الاخر. وبناء على هذا فأن وعي الغرب التاريخي بالعالم المعيشي هو وعي بعالمين متناقضين، وبحضارتين مختلفتين. وبفعل العداء الذي يكنه العربي او الشرقي بعامة، للاوروبي يوصف هذا غالباً مهيمناً، فان الاوروبي لم ير في علاقته بالاخر الا علاقة تناقض وصراع. ومن هنا نشأت فكرة "صراع الحضارات"لديه[٢٢].

فالفكرة الاساسية التي تنطوي خلف خطاب صاحب فكرة "صراع الحضارات" كما يراها برقاوي، هو ان وعي هنتنغون بالحضارات بوصفها متصارعة، وشبيه بوعي بعض الاسلاميين المعاصرين، باعتبار حضارة الغرب هي اساساً حضارة العداء للاسلام. وبناء على ذلك فأن فكرة هنتنغون تنحصر في انتصار الحضارة الاوروبية بما هي نظرة الى العالم، وانتصرت معها اشكال التقدم المتعددة التي تتمتع بها، ولا يمكن اعادة انتاجها في اية حضارة اخرى. اذ ان روح الحضارة الاوروبية خاصة بالاوربيين وحدهم. هذه الحضارة الاوروبية لكي تحافظ على روحها، يجب ان تنسج نفسها بنوع من القوة العسكرية لانها تواجه حضارات اخرى تناصبها العداء[٢٣].

---

(21) المصدر نفسه، ص٤٩.

(22) احمد برقاوي، لا حوار بين الحضارات ولا صراع، مجلة الاداب السورية، العدد ¾، آذار-نيسان ٢٠٠٠، ص٥٤-٥٥.

(23) المصدر نفسه، ص٥٥.

ويعتقد برقاوي ان فكرة "نهاية التاريخ" لا تختلف في الجوهر عن فكرة صراع الحضارات ذلك ان الاوروبي في مستوى تطوره الراهن هو نهاية التاريخ العالمي. أي ان غائية التاريخ قد وصلت الى منتهاها مع انتصار الاوروبي في الحداثة والديمقراطية. كما وجدت اكتمالها في النموذج الامريكي. وعلى جميع الحضارات الغارقة في وحل التاريخ ان تتحرر من تناقضاتها الطبقية والعرقية والثقافية ان هي ارادت ان تعيد انتاج المثال الاوروبي النهائي.

"الحدود الدموية"!

وفي رده على طروحات هنتنغون حول "صراع الحضارات"، فأن الاستاذ رضوان زيادة تناول هذه المسألة من ناحية النفي-الظاهرة، حيث ان متغيرات مطلع عقد التسعينات تركت اثارها على المستوى الفكري وتحديداً على صعيد العلاقات الدولية، التي بات من الملح التفكير جدياً في تغيير قوالبها النظرية ومصطلحاتها البائدة والمتقادمة. لقد حصل فراغ فكري في فترة ما بعد الحرب الباردة، وسقوط نظرية الاقطاب، الامر الذي افضى الى ظهور ارهاصات لنظريات تحاول تفسير المعطيات القائمة وتدلي بدلوها في قراءة المستقبل وفق هدى الرقعة التي رسمتها والاحجار التي تعينها. وما يقدمه هنتنغون، وحسب رضوان زيادة، هو احد السيناريوهات الغربية المقدمة لتفسير الوضع القائم في عالم ما بعد الحرب الباردة، والقائم على الصراع الحتمي بين المركز والاطراف. وضمن هذا الجو المشحون يصب هنتنغون النار فوق الزيت ويقدم نظريته المحتملة لتتحول الى ظاهرة[٢٤].

وهذه "الظاهرة" التي عزفت على وتر حساس لدى الحضارات جميعها تحولت الى كتاب اراد منه ان يحوي بين دفاته "نظرية كبرى" تمتلك قدرة سحرية على التفسير وتثير في الوقت نفسه اسئلة لا تنتهي. اذ عد بأنه "يمثل تفسير لتطور السياسة الكونية بعد الحرب الباردة كما يطمح ان يقدم اطار عمل او نموذج لرؤية السياسة العالمية"[٢٥]. ويؤكد زيادة بأنه على الرغم من ان الفرضيات التي قدمها هنتنغون والتي تحولت الى مسلمات لا تعدو ان تكون احياء لافكار قد رسخها توينبي، الا انها معه ستأخذ ابعاداً اخرى مختلفة، ولم يقف عند الحدود التي قدمها توينبي من التاريخ قائم على اساس الحضارات وليس على اساس الدول، وان الذي يعتبر معياراً اساسياً في هذا التصنيف، لم يتخذ لهجة مشددة ضد الحضارة الاسلامية. وان الدين بالنسبة لهنتنغون عامل اصيل وثابت وغير متحول مهما اختلفت الوجوه التي يظهر بها، وانه

---

(24) رضوان زيادة، صراع الحضارات هاجس وخطاب النفي، مجلة شؤون الاوسط، العدد ١٠٤، خريف ٢٠٠١، ص٢١٤-٢١٥.

(25) نقلاً عن المصدر نفسه، ص٢١٧.

يستمتع كثيراً بترداد المفكر السياسي الفرنسي ريجي دوبريه: "ليس الدين افيون الشعوب وانما فيتامين الضعفاء"[٢٦].

ويشدد هنتنغون على الاسلام الذي يمثل خطراً على الغرب، واشد الخصوم ضراوة. فانه يرى "ليست الاصولية هي المشكلة المهمة بالنسبة الى الغرب بل الاسلام، فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضآلة قوته"، مضيفاً ان "للاسلام حدوداً دموية"[٢٧].

ويؤكد رضوان زيادة بأنه من الضروري التصدي النقدي لهذه "الافتراضات" و"النظريات"، ليس لان مكاننا في النظرية هو خط المواجهة الاول فحسب، وانما لان استشراف مستقبل هذا العالم يخصنا ويضعنا في موضع المسؤولية كما غيرنا لاننا شركاء في المستقبل الذي يجب ان يصنعه الجميع. وعلى اساس هذا الادراك فأن فرضية هنتنغون في الصدام بين الحضارات او نبوءته، تخفي في داخلها فقراً فلسفياً واضحاً يبرز اولاً رفضه فصل الثقافة عن الحضارة، واعتباره ان الثقافة هي الفكرة العامة في كل تعريف للحضارة، ما سينعكس بدوره على مفهومه عن الحضارة وربطه بالدين. وهذا خلل واضح، اذ ان استخدام مفهوم الحضارة وبالتالي الدين بوصفه المؤشر الاساس للتمييز بين اطراف الصراعات الرئيسية في عالمنا الحالي لا يساعد كثيراً في فهمنا لهذه الصراعات. فمن الواضح، كما يضيف زيادة، ان هنتنغون لم يلتزم مقياساً واحداً للتصنيف، فتارة يستخدم الدين للاسلام، والجغرافية للغرب، والعرق للسلاف، وحتى ان فؤاد عجمي قد عبر عن رايه قائلاً: "بقلم رصاص حاد ويد ثابتة، يحدد هنتنغون اين تنتهي حضارة واين تبدأ حضارة اخرى"[٢٨].

واذا كان هنتنغون قد نجح في اعطاء الصراعات والنزاعات المتفاقمة حالياً السمة الثقافية، ولكن ذلك لا يعني هذا الصراع الخاضع بدوره لمتغيرات سياسية، وليس لطبيعة العلاقات التاريخية بين البشر ويضاف الى ذلك فأنه قد سقط في اتون السياسة واكتوى بنارها وتلبس بوصل ايديولوجيا السياسة ايضاً عندما نسي ان الحضارات لا تسيطر على الدول بل الدول هي التي تسيطر على الحضارات. ليس بالضرورة ان يكون النزاع العرقي (او الديني) نزاع حضارياً. اذن ما نفسر ما يحصل في ايرلندا الشمالية[٢٩].

---

[٢٦] المصدر نفسه، ص٢١٩.

[٢٧] نقلاً عن المصدر نفسه، ص٢١٩، وينظر صموئيل هنتنغون، صدام الحضارات واعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، اصدار دار الطور القاهرة، ١٩٩٨، ص٤١٨.

[٢٨] المصدر نفسه، ص٢٢١.

[٢٩] المصدر نفسه، ص٢٢٢.

ويشير رضوان زيادة في اطار تحليله "للظاهرة" الهنتنغونية مستنداً الى عدد من المراجع الموثوقة في طرحه عنواناً فرعياً: الاخر-الهاجس: الصراع-ثأر التاريخ"، من ان نظرية صدام الحضارات جعلت هاجس الخوف من عدو محتمل يطفو على السطح ما جعلها اشبه بوثيقة عمل لدى بعض المفكرين والسياسيين الذين عملوا على تأكيدها باستحضار التاريخ او بتعسف قراءة الواقع معتبرين "ان حرب الاسلام مع الغرب تحمل محرضات كامنة، فكرية وعرقية، اضافة الى صراع المصالح"، وتتلخص هذه المحرضات في ان الاسلام مبني على يقين جازم بأنه فوق الاسس التي يضعها البشر[٣٠].

ويشير الاستاذ وجيه قانصوره في دراسته المعنوية: "ايديولوجية الحضارات في النظام العالمي الجديد"، بأنه ولئن اراد ان ينهي دورة التاريخ وفق ايديولوجي متفائل يحول العالم الى نسق سياسي واقتصادي واحد، فأن هنتنغون اراد انعاش حركة التاريخ الصاخبة. وراى في وجود الاخر غير الغربي خطراً مؤكداً ومزاحماً صلباً في ظل قانون تنازع البقاء. فالاخر غير الغربي قابل بحكم تكوينه الحضاري على استيعاب النموذج الغربي او السكن داخل جدرانه، وبالتالي فأن الخيار الطبيعي يمكن في قرع طبول الحرب واسترجاع عقيدة الغرب في تكوين الرأي العام، أي ان خيار الحضارات الوجودي هو اما العيش في قوة او الموت. وعلى ضوء ذلك، فانه استطاع تبرير الترسانة النووية لصانعي القرار الامريكي وتضخم التحالف الغربي كحقيقة حضارية متفردة[٣١] ويؤكد قانصوره بأن مقولة "صدام الحضارات" تأسست على معطيات الواقع الراهن وتفاعلاته، وانها وسيلة لارساء الواقع الراهن بصوت المدفع، حيث الهيمنة الامريكية ومركزية الغرب في تشكل العالم[٣٢].

لقد خصص الدكتور محمد عابد الجابري الفصل الخامس من كتابه "قضايا في الفكر المعاصر"، لتفنيد الاسس التي قامت عليها نظرية "صدام الحضارات" الهنتنغونية، وتفكيك عناصر افتراضاتها، وتهافت الاستنتاجات التي وصلت اليها، وذلك انطلاقاً من "اننا نحن العرب والمسلمين على راس المستهدفين فيها فمن الواجب المساهمة في فضحها، فضلاً عن وجوب تعميم الوعي بمضمونها واهدافها..". ويتساءل الجابري استطراداً، لماذا توارت فكرة نهاية التاريخ بسرعة واختفت ولم تعد تثير الاهتمام بعد اعلان هنتنغون عن اطروحته "صدام الحضارات"؟ هل يرجع ذلك، حسب ما يؤكد الجابري الى كون مركز هنتنغون في مجال الدراسات الاستراتيجية والعلاقة مع

---

(30) المصدر نفسه، ص١١٥.

(31) وجيه قانصوه، ايدلوجية الحضارات في النظام العالمي الجديد"، مجلة شؤون الاوسط، العدد ٩٠/٩١، ديسمبر/ك١-يناير/ كانون ثاني/ ٢٠٠٠، ص٩٢.

(32) المصدر نفسه، ص٩٣.

الادارة الامريكية اقوى بكثير من مركز ذلك الامريكي من اصل ياباني، ام لان اطروحة صدام الحضارات انما قصدتها ازاحة فكرة نهاية التاريخ من مسرح الاهتمام؟. قد يكون للوزن الشخصي دور، ولكن الدور الحقيقي، حسب ما يراه الجابري، هو للوظيفة التي تؤديها الفكرة. ان فكرة "نهاية التاريخ" عن الماضي، وبالتالي تبعث على الاطمئنان على مستقبل امريكا، اذ هي تؤكد على الانتصار النهائي لليبرالي، الشيء الذي اثار -مثلاً- التساؤل عن جدوى تخصيص مبالغ هائلة للدفاع في ميزانية الولايات المتحدة تساؤلاً مشروعاً. اما اطروحة "صدام الحضارات" تتحدث عن المستقبل وتنذر بخطر المواجهة والحرب وتدعو صراحة الى اخذ الحيطة والاستعداد للدفاع عن النموذج الحضاري الامريكي وعن المصالح التي يقوم عليها[٣٣]. وهو ما تجسد في عقلية المحافظين الجدد، وما افضت به افكارهم في الحرب الاستباقية، والحرب العادلة.

"الحرب الباردة الحضارية":

وبناء على ذلك فأن "نظرية" صدام الحضارات، وحسب ما يراه الجابري، فانها من الناحية الاستراتيجية السياسية والعسكرية والثقافية تنطوي فعلاً على قضية، حاول المفكرين الغربيين التنظير لها، ثم الترويج لها في حملة اعلامية لم يسبق لها. ويؤكد الجابري بأنه سبق هنتنغون ان نشر السيد باري يوزان الاستاذ بجامعة ورويك البريطانية، مقالاً في مجلة شؤون دولية بتاريخ ٣/تموز-يوليو/١٩٩١ تحت عنوان "السياسة الواقعية في العالم الجديد: انماط جديدة للامن العالمي في القرن الواحد والعشرين" مقسماً العالم من جديد الى "مركز" و"اطراف": اما المركز فهو "كتلة رئيسية من الاقتصاديات الرأسمالية المسيطرة على العالم" واما الاطراف فهي "مجموعة من الدول الاضعف من النواحي الصناعية والمالية والسياسية تتحرك ضمن نمط من العلاقات التي يشكلها المركز في المقام الاول، اضف الى ذلك "اشباه الاطراف" وهي الدول الاقوى في الاطراف. والقضية الاساس التي يريد صاحب المقال دراستها من خلال التصنيف الذي ابقى تصنيفات فترة الحرب الباردة، هي مسألة "الامن"، امن المركز تحديداً، الغرب بوصفه "المركز" وبقية العالم بوصفها "الاطراف"[٣٤]. وبعد ان يحدد بوزان التطورات التي حصلت في "المركز" من عودة ظاهرة الدول العظمى، وبروز الرأسمالية الليبرالية، وقيام جماعة امنية تضم المراكز الرئيسية للقوة الرأسمالية، وتعزيز قوة وفعالية "المجتمع الدولي"، فان هذه التطورات انعكست على

---

[٣٣] محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، حزيران/ ١٩٩٧، ص٨٣-٨٤.

[٣٤] المصدر نفسه، ص٨٨-٨٩.

الامن في الاطراف وذلك في مجالات خمسة: في المجال السياسي، انخفاض قيمة الاطراف، في المجال العسكري، حيث تفشي النزاعات، وفي المجال الاقتصادي حيث بقيت الاطراف اطرافاً بسبب المعوقات الذاتية. ويكرس بوزان اهمية للامن الاجتماعي في مجال علاقة المركز والاطرف، ويعتبر الهجرة وما يسميه بـ"التصادم بين الهويات الحضارية المتنافسة" اهم قضيتين في هذا المجال. اذ ان الهجرة من دول جنوب المتوسط الاسلامية تشكل خطراً على امن دول "المركز"، اذ تهدد هويتها الحضارية اما المتصادم الحضاري فهو في نظره "اوضح ما يكون بين الغرب والاسلام"، نظراً للتعارض بين القيم العلمانية السائدة في الغرب وبين القيم الاسلامية، ونظراً كذلك للتنافس التاريخي بين المسيحية والاسلام، ولغيره المسلمين من قوة الغرب، اضافة الى الجوار الجغرافي..ويقول بوزان: "فاذا اجتمع خطر الهجرة وخطر تصادم الثقافات اصبح من السهل وضع تصور لنوع من الحرب الباردة الاجتماعية بين المركز وجزء من الاطراف على الاقل، ولاسيما بين الغرب والاسلام". ثم يضيف: "كما ان تصادم الهويات الحضارية لا يقل قوة على الجانب الاخر من الاسلام، حيث يتجاوز الغرب مع الحضارة الهندية، مثلما يتجاوز مع الاسلام". وهكذا فـ"الحرب الباردة الحضارية المقبلة ستكون بين طرفين: الغرب والحضارتان الاسلامية والهندية من وجهة اخرى وذلك ما سيقول به هنتنغون مع تعديل واحد هو وضع الحضارة الكونفوشية، مكان الحضارة الهندية"[٣٥].

ومن هنا، وكما يؤكد الجابري، فان هذه الفكرة نفسها التي يقررها هنتنغون في مقالته "صدام الحضارات" وفي ظرفية جديدة و"باسلوب صدامي"، وان المبدأ الذي يحكم النص هو المبدأ المعروف بـ"الغاية تبرر الوسيلة"، ولجأ الى التعميم واصطناع الغموض والقفز من قضية الى اخرى، انه يقدم "فرضيته" في شكل نبوءة وبأسلوب هجومي، حتى انه يرد وبطريقة غير مباشرة على فكرة "نهاية التاريخ" لفوكوياما، وهي الفكرة التي تقرر انتصار الليبرالية بصورة نهائية، وهذه الفكرة او الاستنتاج يتعارض مع الاستراتيجية الكونية التي تخطط لها الولايات المتحدة. ومن هنا، فانه جاء دور هنتنغون الخبير في "الاستراتيجية العسكرية" يتصدى بسرعة وعنف لفكرة "نهاية التاريخ". وبما ان افضل استراتيجية لابطال فكرة وقبرها هي الترويج لفكرة العكس دون الدخول معها في جدال صريح. ان فكرة "نهاية التاريخ" بغرابتها واستفزازها للمنطق والتاريخ معاً، لم يمحوه الا الصدع بفكرة اكثر غرابة واشد استفزازاً، فكرة "صدام الحضارات"[٣٦].

---

(35) نقلاً عن المصدر نفسه، ص٩٠-٩١-٩٢.

(36) المصدر نفسه، ص٩٤-٩٥.

فقد كانت مهمة فكرة "صدام الحضارات" ترتيب حوادث التاريخ بالشكل الذي يجعل النتيجة المتوخاة تأتي كمرحلة حتمية من التطور التاريخي، حيث الحروب والنزاعات العسكرية لتصب في مرحلة مقبلة هي الصراع، وهي مرحلة "صدام الحضارات"، أي بين الحضارات الغربية والحضارات الاخرى. وهذه التصورات، كما يؤكد الجابري، مبنية على مغالطات عديدة حتى انه يتجاهل عن الحروب الدينية في اوروبا وعن الحرب الانكليزية-الامريكية، والحرب الامريكية-الفيتنامية. واذا كان هناك صراع في المستقبل فسيكون بين الامم والشعوب المتطلعة الى الحرية والديمقراطية مع القوى الامبريالية المهيمنة، تحت أي غطاء كانت[٣٧].

ويشير الجابري بأنه بالاضافة الى التصنيفات التي يقدمها هنتنغون التي يقدمها ما بين الثقافة والحضارة وافعال حدود التمايز بين الحضارات، فانه ينتقل الى مغالطة على مستوى العلاقة بين الحضارة والايديولوجيا، والغرب والنخب، والانتماء الغربي، والانتماء الطبقي، والديني والسياسي. واذا كان الدين هو العنصر الاهم في التمييز بين الحضارات، فلماذا لا يسمى جميع الحضارات بأسم الدين الذي تعتنقه وستكون عندنا حينئذ الحضارات التالية: الحضارة المسيحية والحضارة الاسلامية والحضارة البوذية، الا انه يستخدم الدين فقط لتمييز الحضارة الاسلامية وحدها[٣٨].

ومن خلال تحديده للحضارة الاسلامية التي تحدث الغرب المسيحي منذ ان وصل العرب الى مدينة تور الفرنسية عام ٧٣٢، ثم الحروب الصليبية، فانه تاريخ سلسلة من الحروب المتجددة. ويطالب من الغرب ان لا يعمل على نشر الديمقراطية في العالم الاسلامي "انها تؤدي الى تعزيز القوى السياسية المناهضة"، وهو ما يكشف تشدق الغرب بالديمقراطية وحقوق الانسان بالنسبة للشعوب غير الغربية[٣٩].

وينتهي صاحب نظرية "صدام الحضارات" الى الاعلان صراحة بعد ان يقرر ان العلاقة بين الغرب والاسلام ستكون علاقة صدام حضاري، بأن "للاسلام حدوداً دموية" وهو الذي كان مسؤولاً عن كل الصدامات والحروب التي اندلعت على حدود الفصل بين الحضارات التي كانت دائماً "حدود التوتر"[٤٠]. وينتهي الجابري الى وصف هذه "الافتراضات" وما احتوته النظرية، بانه لم يكن الا "منطق القبلية" الذي يحكم تفكير هنتنغون.

اما الكاتب السعودي الاستاذ تركي الحمد فيري من جانبه في قراءاته للاطروحات هنتنغون وفوكوياما، بان كلا الكتابين يصلان الى نتيجة واحدة، وان

---

[٣٧] المصدر نفسه، ص٩٩-٩٧.
[٣٨] المصدر نفسه، ص١٠٤.
[٣٩] المصدر نفسه، ص١١٧.
[٤٠] المصدر نفسه، ص١١٨.

اختلفت بهما السبل لدرجة التناقض الظاهري. وهي ضرورة استمرار سيادة الغرب حضارياً وسياسياً. فصموئيل هنتنغون يصل الى هذه النتيجة عن طريق "ما يجب ان يكون عليه الوضع" وذلك حين يفصل فصلاً قاطعاً بين الغرب والبقية، ويضع الحضارة الغربية في مواجهة صراعية مع بقية الحضارات التاريخية في هذا العالم، ويطلب من صانعي القرار في دول الغرب ان يأخذوا هذه الفكرة بصفتها "حقيقية"، في الاعتبار والعمل على استمرار السيادة الغربية عن طريق اقامة تحالفات "حضارية بين دول الغرب ذات الثقافة المشتركة مع الولايات المتحدة بصفة خاصة، اما فرانسيس فوكوياما، وحسب ما يؤكده الحمد، فيصل الى ذات النتيجة عن طريق ما يعتبره من مسائل الحتم والضرورة، وذلك حين يحاول طرح فلسفة انهيار الكتلة الاشتراكية وانتهاء الحرب الباردة تاريخياً، بحيث يعلن انتصار الديمقراطية الغربية والمشروع الحر هو نهاية التاريخ وان سيادة الغرب الرأسمالي والديمقراطي قد اصبحت نهائية ولا مجال لتغييرات جذرية عميقة في التاريخ القادم للانسان، التغيرات القادمة التي تعدو التفاصيل، ومدى سرعة الدول والشعوب الاخرى في الوصول الى النموذج النهائي، أي النموذج الغربي.

وبناء على ذلك، فان الاستاذ تركي الحمد يؤكد بأن كلا الكاتبين كان يقوم بارسال رسالة خاصة الى السياسة الخارجية الامريكية، موصياً فيها بما يجب ان تكون عليه هذه السياسة أي هناك "مشروع معين" للسياسة الخارجية الامريكية[٤١]، وهو ما اتضح في الخطوط العامة التي طرحها "مشروع القرن الامريكي الجديد"، حيث يشكل مشروع الشرق الاوسط الكبير، المشروع الفرعي المتوجه نحو المنطقة لاغياً حدودها الجغرافية، وهوياتها القومية، وذلك لاذبتها في هويات، وعرقيات، واثنيات متعددة يفترض الصراع بينها، والتي تشكل بالمقابل خطر يهدد الغرب، ولابد من اعادة بنائها من الداخل على وفق الصيغ والآليات "الجديدة"، بدلاً من تركها بؤراً تفرغ الارهاب والمنظمات الارهابية.

---

(41) تركي الحمد، صراع الثقافات بين السياسة والتاريخ (١-٢)، صحيفة الاتحاد الاماراتية، العدد ٩٦٧٠، الاربعاء، ٢٦/ديسمبر/ ٢٠٠١، ص٣٠.